

SIATS Journals

Journal of Arabic Language for Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 3، العدد 2، أكتوبر 2017

e-ISSN: 2289-8468

ALKHT ALERBY BAYN MHDDIDAT ALFANA' WMQWWMAT ALBAQA' - DRAST WSFYT LIMADIH ALGHABIR WAHADIRAH ALMUEASIR

الخطّ العربيّ بين مهدِّدات الفناء ومقوّمات البقاء

دراسةٌ وصفيّةٌ لماضيه الغابر وحاضره المعاصر

نذير يحيى ميكائيل آل رضوان

nymikail@gmail.com

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

2017 – 1439

ARTICLE INFO

Article history:

Received 1/8/2017
Received in revised form 25/8/2017
Accepted 1/10/2017
Available online 15/10/2017
Keywords:

Abstract:

The aim of this paper is to examine the nature and the historical origin of Arabic Calligraphy and to address the question of the stages Calligraphy has undergone over the past centuries. The paper also explores whether the Calligraphy is flexible in a way that enables it to correspond with the challenges of the age of globalization. In the same vein, the paper will provide a comprehensive answer vis-à-vis the problems Calligraphy had to contend with over the course of time, with giving special emphasis on its equivalents in Standard English Language. Furthermore, the paper is intended to be a ground breaking effort in countering the popular outcry to replace the existing Calligraphy with other fonts.



مُلخَّص

تناولت هذه الورقة بالدراسة موضوع الخطّ العربيّ من حيث نشأته ومنبت أصله، وكيف شقّ طريقه إلى الحضارة العربيّة والإسلاميّة، كما ألقت الضّوء على المراحل الّتي مرّ بها الخطّ العربيّ حتّى انتهى إلى صورته الحاليّة، مع بيانٍ شافٍ للعلامات في الخطّ العربيّ، ابتداءً من نقاط الإعجام، ومروراً بالضّبط بالشّكل، وانتهاءً بعلامات الترقيم الّتي أُدرِجت في العصر الحديث. وتناولت الورقة –كذلك – بعضَ تساؤلاتٍ سائدة تتعلّق بالخطّ العربيّ، منها: هل لهذا الخطّ من المرونة ما يجعله متناسباً مع عصر العولمة؟ وهل بمقدوره الصّمود أمام هذا الكمّ الهائل من المستجدّات في عالم المتغيّرات؟ وأخيراً – وليس آخراً – تناولت الورقة بعض ما اتّهم به الخطّ العربيّ من مشاكل، مع الإشارة إلى نظيراتها في اللّغة الإنجليزيّة. ويزعم الباحث أنّ الورقة تصلُح ردّاً على كلّ الدّعوات الباطلة إلى استبدال الخطّ العربيّ بخطوط أخرى غيره.

الكلمات الرئيسة: الخطّ العربيّ، النقط والشّكل، علامات التّرقيم.

تمهيد

إنّ أعظم ما يمتاز به بنو الإنسان عن غيرهم من سائر الحيوان: أن جعل لهم الله لساناً يتّخذونه آلةً للتّعبير عمّا في نفوسهم، ووسيلةً قويّةً للتّبادل والتّفاعل الإنسانيّ من أيّ نوعٍ كان...فاللّغة هي الأداة الأولى الّتي تسهّل التّعايش بين أفراد مجتمع ما ومع المجتمعات الأخرى، كما أنّها المرآة الصّافية الّتي تنقل ثقافة الأقوام جيلاً بعد جيل، فهي – بذلك – عمودٌ من أعمدة بناء الحضارات، وجزءٌ لا يتجزّأ من هويّة الأقوام، وركنٌ من أركان العمران.

واللّغة تعدّ حيّةً متناميةً إذا ما توافرت فيها خصائصُ وميزاتٌ تجعلها حيّةً مرنةً من جهة، ووافيةً بمتطلّبات العصر وأهلها من جهة ثانية. ومن أبرز هذه الميزات: الخطّ الّذي تستخدمه لتدوين موروثاتها العتيقة، وذكرياتها الخالدة، وما ينتظرها في غدها الواعد من متغيّرات وتحدّيات...فما أصلُ هذا الخطّ ومن أيّ حضارةٍ أُخِذ؟ كيف ومتى شقّ طريقَه إلى الحضارة العربيّة والإسلاميّة؟ وهل بمقدور هذا الخطّ أن ينقل للأجيال اللاّحقة الصّورةَ الصّحيحةَ لأمسها الدّابر؟! وهل هو كفؤٌ لمواجهة ما قد يطرأ ويستجدّ في عالم المتغيّرات عبر التّاريخ؟! ما المراحل والأطوار الّتي مرّ بها حتّى استوى على سوقه؟ وما الفرق بين حالته في ماضيه الغابر وما آل إليه في واقعه المعاصر؟ وما علاقة الخطّ العربيّ – بأنواعه المتعدّدة – بالزّخرفة الإسلاميّة بأشكالها المتباينة؟ وهل لهذا الخطّ من المرونة ما يجعله متناسباً مع عصر العولمة والسّرعة؟!

هذه الأسئلة وغيرها هي مجالُ بحثِ هذه الورقة، محاولةً كشفَ النّقابِ وإجلاءَ الخَفاءِ عن الخطّ العربيّ من خلال النّقاط التّالية:

- نشأة الكتابة عند الإنسان.
- أصل الخطّ العربيّ وبيان ما اشتقّ منه.
- مراحل نموّه وتطوّره.

- العلامات في الخطّ العربيّ.
- ما اتهم به الخطّ العربيّ ودعاوى استبداله بغيره.

وفوق هذا وذاك، ستحاول الورقة أن تجيب على بعض ما اتّهم به الخطّ العربيّ من مشاكل، مع الإشارة إلى نظيراتها في اللّغة الإنجليزيّة...كما أزعم أنّها ستصلُح ردّاً – بما لا يضع مجالاً للشّكّ – على كلّ الدّعوات الباطلة إلى استبدال الخطّ العربيّ بخطوطٍ أخرى غيره.

هذا ما سأتناوله في هذه الورقة، واضعاً في الاعتبار: أنّه فوق كلّ ذي علمٍ عليم، مع اعترافي بأنّ عمل ابن آدم ناقصٌ لا محالة؛ إذ الكمال المطلق لله وحده، وجلّ من لا يسهو ولا ينسى! وما توفيقي إلاّ بالله، عليه أتوكّل وإليه أنيب.

نشأة الكتابة عند الإنسان

إنّ الإحاطة بنشأة الكتابة إحاطةً علميّةً موثّقة أمرٌ يكاد يكون متعذّراً على أيّ باحثٍ مهما اتّسعت معرفته، وتنوّعت ثقافته، بيد أنّه بتتبّع الخطوط المستعملة اليوم في جميع أنحاء العالم، نستطيع أن نستنتج – ببساطة – أنّ هذه الخطوط لم تكن وليدةَ يومٍ وليلة، بل – على عكس ذلك – نشأت تدريجيّاً وتطوّرت مع مرور الزّمن حتّى وصلت إلى ما هي عليه الآن. فالمسألة – إذن – لا تتعدّى إطار الظّنّ والتّخمين[1].

لذلك، فقد تضاربت الآراء حول هذا الموضوع، فبعض الباحثين العرب يرون أنّ الكتابة توقيفيّةٌ، مستشهدين بقوله تعالى: (وعلّم آدم الأسماء كلّها) [2]، ويرون أنّ آدم كَتَب كُتُباً في ألواحٍ من طين، وطمر هذه الألواح قبل موته، ثمّ انتقلت – بعد ذلك – إلى أخنوخ، وهو إدريس عليه السّلام، وبعد الطّوفان أخذت كلّ أمّة كتاباً، وكان نصيب إسماعيل عليه

(1) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، الطّبعة الأولى 1997م، دار المجد للطّباعة والنّشر، دمشق، (ص/9).
(2) سورة البقرة، الآية: 31

السّلام كتاب اللّغة العربيّة، وبذلك تعلّم العرب الكتابة[1]. وقيل: إنّ الخطوط أُنزِلت على آدم عليه السّلام في إحدى وعشرين صحيفة[2]. ويبدو أنّ هذا الرّأي لا يقوم على أساسٍ من العلم متين، أو سندٍ من التّاريخ صحيح.

ولقد فطِن إلى ما في هذا الرّأي من غثاثة المؤرّخُ الاجتماعيّ ابن خلدون، الّذي نفى أن تكون الكتابة توقيفيّة، بل يرى أنّها من جملة الصّنائع المدنيّة المعاشيّة، فهي – على ذلك – ضرورةٌ اجتماعيّةٌ اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة، تنعدم مع البداوة، وتُكسَب بالتّحضّر[3]. وأضاف ابن خلدون: أنّ الكتابة وُجِدت – أوّلَ ما وُجِدت – لدى الدّولة الحميريّة، ومنها انتقلت إلى الحيرة بفضل المناذرة، وبعد الحيرة تعلّمها أهل الطّائف وقريش[4].

والّذي تطمئنّ إليه النّفس: أنّ الإنسان الأوّل قضى قروناً طويلة لا يعرف فيها القراءة ولا الكتابة؛ وذلك لما كان عليه من بساطة العيش، وعندما خطا خطوةً نحو التّمدّن والاستقرار، شعر باحتياجه إلى الكتابة، وبدأ – في بادئ الأمر – يعبّر عن أفكاره بطريقة الرّسم، ثمّ ارتقى أسلوبُ حياتِه – بعد ذلك – فأخذ يعبّر بطريقةٍ رمزيّةٍ، مستخدماً الصّورَ وأشكالاً أخرى... وأشهر هذه التّعابير الرّمزيّة الصّوريّة وأقدمُها، هو الكتابة الهيروغليفيّة القديمة في وادي النّيل، والسّومريّة في وادي الرّافدين[5]. وهكذا تطوّر فنّ الكتابة مارّاً بتحوّلاتٍ وتبدّلاتٍ مختلفة، حتّى بلغ مرحلته الحاليّة، وكان في كلّ خطوة من خطوات تطوّره يعكس احتياجات البشريّة، ونشأة الحضارة، وظهور الأديان.. وفيما يلي مراحل تطوّر الكتابة عند الإنسان باختصار[6]:

---

(1) انظر: الرّافعي، (مصطفى) و جيدة، (عبد الحميد): **فنون صناعة الكتابة**، دار الجيل – بيروت، (ص/9).

(2) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/9).

(3) انظر: ابن خلدون، (عبد الرّحمن): **المقدّمة (تاريخ ابن خلدون)**، الطّبعة الرّابعة، دار إحياء التّراث العربيّ – بيروت، (124/2).

(4) انظر: المصدر السّابق نفسه.

(5) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/10).

(6) لمزيدٍ من التّفاصيل في مراحل نشأة الكتابة عند الإنسان ينظر: بيطار، (إلياس)، الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ، (ص/10–85)، والجبوريّ، (محمود شكر)، **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، دار الأمل للنّشر والتّوزيع – الأردن، (ص/10–14).

الكتابات البدائيّة[1]: **Primitive Drawing**

الكتابات البدائيّة نوعٌ من التّعبير بوساطة رموزٍ مستخدمة لذلك. وما الإشارات الضوئيّة الّتي تنظّم حركة المرور في شوارع المدن الآن إلاّ بقايا من تلك الكتابات البدائيّة، حملت دلالاتٍ ذات معانٍ، خصوصاً في العصر الحديث، يفهمها الإنسان اليوم كما لو أنّها كتابةٌ متداولة معروفة.

وقد اخترع معظمُ شعوبِ العالم طُرُقاً للكتابة البدائيّة الّتي كانت أساساً لانطلاقها إلى مراحلَ متطوّرة، غيرَ أنّ بعض الشّعوب ما لبثت أن توقّفت بعد قطع مسافةٍ قصيرة، كما حدث مع المصريّين في الهيروغليفيّة، في حين تتابعت شعوبٌ أخرى حتّى وصلت إلى المرحلة النّهائيّة[2].

الكلمة المصوّرة[3]: **Word Sign**

والمقصود بالكلمة المصوِّرة هو التّعبير عن كلمةٍ معيّنةٍ واحدة بصورةٍ تمثُلُها، فمثلاً عبّر العراقيّون القدماء عن نعجة برسم صورة النّعجة، كما عبّروا عن بقرة برسم صورة البقرة وهكذا[4]، وكان بعضهم – في هذه المرحلة – يكتفي برسم جزءٍ ليعبّر به عن كلّ، فالرّأس – مثلاً – يعبّر عن الإنسان، والسّنبلة عن القمح. [5]...إلخ. ويلاحظ أنّ هذه الطّريقة لا تهتمّ باللّفظ، بل بالشّيء المعبَّر عنه، وهذا ما جعل هذه الطّريقة شائعةً ومفهومة عند الشّعوب.

الكتابة التّصويريّة الرّمزيّة[6]: **Pictography-Ideography**

---

(1) انظر: D. Diringer, the Alphabet: a Key to a History of Mankind, (London, 3rd Edition, 1968), and D. Diringer, Writing, (London 1962).

(2) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/10).

(3) انظر: هبو، (أحمد): الأبجديّة: **نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب**، اللاّذقيّة 1984م، (ص/15).

(4) انظر: الجبوري، (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/11).

(5) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/11).

(6) انظر: A. Gaur, A History of Writing, (London 1984)

أدرك الإنسان – بعد فترةٍ من الزّمن – أنّ الكتابة بالكلمة المصوّرة ناقصة؛ لأنّها تعبّر عن المحسوسات دون المعاني والمدلولات المجرّدة، كالحزن والخوف والبكاء، لذلك لجأ إلى الكتابة التّصويريّة الرّمزيّة، فعبّر – مثلاً – عن البكاء بعينٍ تتساقط منها الدّموع، وعن الحكم برجلٍ يحمل الصّولجان، وعن الكلام برجلٍ مفتوح الفم(1)...وهكذا.

الكتابة المقطعيّة(2): **Syllabic Writing**

لقد استطاع الإنسان – في طور الكتابة التّصويريّة الرّمزيّة السّابقة – عن يعبّر عن المحسوسات وبعض المعاني والمدلولات كالخوف والبكاء والحزن وغير ذلك، غير أنّه اكتشف أنّ الكتابة التّصويريّة الرّمزيّة عاجزةٌ هي الأخرى في التّعبير عن الصّيغ المختلفة للفعل الواحد، فلجأ إلى الكتابة المقطعيّة الّتي تسدّ هذه الثغرة، وهي خليطٌ من الكتابة في مراحلها السّابقة، إضافةً إلى بعض الإشارات المفسّرة الدّالة **(Determinative)** ...وفي هذا الطّور تمّ تقسيم الرّموز إلى قطع صغيرة، كما تطوّرت الكتابة الصّوتيّة عند الفينيقيّين فعرفوا تشكيلات بعض الحروف(3).

الكتابة الأبجديّة الهجائيّة(4): **The Alphabetical Writing**

---

(1) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/13).

(2) انظر: I. J. Gelb, **A Study of Writing** (Chicago/London, 2nd Edition 1963), and C. B. F. Walker, Cuneiform, (London, 1987)

(3) انظر: زيدان، (جرجي): **الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة**، الطّبعة الثّانية 1904، دار الهلال – القاهرة، (162 – 163)، وأسعد، (علي) وفكتور، (الفكّ)، **فنون صناعة الكتابة**، الطّبعة الثّالثة 1977م، (ص/45)، والرّافعي، (مصطفى)، وجيدة، (عبد الحميد)، **فنون صناعة الكتابة**، (ص/11)

(4) انظر: G. R. Driver, **Semitic Writing from Pictography to Alphabet**, (London 3rd Edition, 1976)

لما كثُرت العلامات المستخدمة في الخطوط المختلفة وتزايدت حتّى بلغت خمسمائة علامة في الخطّ البابلي[1]، كان لا بدّ من اختصارها وتبسيطها، لذا، فقد لجأ الإنسان إلى الكتابة الأبجديّة الهجائيّة في الألف الثّاني قبل الميلاد[2]. وتعدّ هذه المرحلة – بالفعل – منعطفاً جادّاً في تاريخ الكتابة لدى الإنسان.

وقد كانت هذه الكتابة بسيطة المبدأ، ظهرت تدريجيّاً؛ إذ سبقت الحروف السّاكنة كلّاً من حروف العلّة والحروف المتشابهة كالتّاء والباء والياء[3]، واعتمدت على تفكيك المقطع الصّوتي الأكّديّ، ففصلت بين الحرف **(consonant)** والحركة **(Vowel)**، فكان لديها سبعةٌ وعشرون حرفاً، لكلّ حرف رسمه الخاصّ وثلاث حركات[4] – كما هو الحال في العربيّة – وبذلك استطاع الإنسان – للمرّة الأولى في التّاريخ – أن يكتب ما يريد باستخدام الحروف، دون الحاجة إلى الصّور أو الرّموز والمقاطع.

أصل الخطّ العربيّ وبيان ما اشتقّ منه

إنّ فنّ الكتابة من الصّناعات المدنيّة الّتي تقوى وتضعف بقوّة الحضارة وضعفها[5]. والأمّة العربيّة – ونخصّ منهم بالذّكر أهل الحجاز – كانوا – قبل الإسلام – أمّةً بدويّةً بدائيّة، لا تقتضي معيشتُهم انتشار القراءة والكتابة، وليس يُعرَف – في آثارهم بالحجاز – ما يدلّ على معرفتهم بالقراءة والكتابة إلاّ قبيل الإسلام، حين انتشر نفرٌ منهم في البلدان المجاورة من العراق والشّام واليمن وغيرها، سعياً وراء الرّزق، ورغبةً في الكسب، وحين اختلطوا بهؤلاء النّاس، وتخلّقوا

(1) انظر: الجبوري، (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/13).

(2) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/39).

(3) انظر: الجبوري، (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/13).

(4) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/39).

(5) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، الطّبعة الثّالثة 1981م، دار المرّيخ، (ص/6-7).

بأخلاق الحضر، اقتبسوا منهم الكتابة، فعادوا إلى شبه الجزيرة وهم يكتبون العربيّة بالخطّ النبطيّ أو السّريانيّ اللّذين تولّد منهما الخطّ العربيّ المعروف.

ويتبيّن ممّا سبق أنّ الخطّ العربيّ لم يدخل الحضارة العربيّة والإسلاميّة من باب واحد، بل – كإخوة يوسف – من أبوابٍ متفرّقة، وهذا – تحديداً – هو ما أدّى إلى وجود نظريّاتٍ كثيرة ومتضاربة في أصل ما اشتقّ منه الخطّ العربيّ، ومجمل هذه النظريّات في الفقرات التّالية:

نظريّة التّوفيق:

وقد سبقت الإشارة إلى هذه النّظريّة في البحث عن أصل الكتابة لدى الإنسان، فالتُراجَع هناك[1].

النّظريّة الجنوبيّة (الخطّ الحميريّ):

ويرى أصحاب هذه النّظريّة أنّ أصلَ ما اشتُقّ منه الخطّ العربيّ هو الخطّ المسند، الّذي دُوّنت به الكتابات المعينيّة والسّبأيّة والحميريّة؛ ذلك لأنّه كانت - في اليمن - حضارةٌ قديمة فرضت في وقتٍ ما سلطانها السّياسيّ على بعض الأمم العربيّة الشّماليّة في حكم دولتي سبأ وحمير، في القرنين: الأوّل والثّاني قبل الميلاد، ويرون أنّه لا بدّ أن تكون قد فرضت على تلك الأمم ثقافتها كذلك، ومن ذلك الخطّ الّذي تكتب به[2].

ويبدو أنّ أصحاب هذه النّظريّة لا يستندون إلى أيّ دليلٍ مادّيّ؛ إذ ليس هناك أيّ علاقة ظاهرة بين خطوط حمير في اليمن، والخطّ العربيّ الّذي انتهى إلينا...هذا، وقد صرّح بعض المؤرّخين واللّغويّين القدامى أنّ هذا الخطّ يخالف الخطّ

---

(1) انظر: (ص/4) من هذا البحث.

(2) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/7)، والجبوري، (محمود شكر)، **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (16-17).

الّذي تكتب به العرب. قال ابن منظور: "والمسنَد: خطّ لحمير مخالفٌ لخطّنا هذا، كانوا يكتبونه أيّام ملكهم"(1). وقال ابن خلدون: "المسند: كتابة حمير وأهل اليمن الأقدمين، وهو يخالف كتابة العرب المتأخّرين من مضر"(2). كلّ هذا وذاك يحدو بي إلى القول بأنّ هذه النّظريّة يكتنفها بعض الضّعف والغموض.

النظريّة الشّماليّة (الخطّ الأنباريّ أو الحيريّ):

وهذه نظريّةُ بعضِ مؤرّخي العرب القدامى(3)، وفحواها: أنّ ثلاثة نفرٍ من طيّ، وهم: مرارة بن مرّة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدورة، سكنوا أنبار، واجتمعوا فقاسوا هجاء اللّغة العربيّة على هجاء السّريانيّة، ثمّ وضعوا الخطّ العربيّ. فالأوّل (مرار) وضع الحروف، والثّاني (أسلم) فصّل الحروف ووصلها، والثّالث (عامر) وضع الإعجام (أي النقط على الحروف). فتعلّم عن هؤلاء قومٌ من أهل الأنبار، ثمّ تعلّم عن هؤلاء جماعةٌ من الحيرة...وهكذا عَرَفَ الخطّ – بتأثير الثّلاثة الطّائيّين – عددٌ لا يُحصَى من الخلق في العراق والحجاز وديار مضر والشّام.

---

(1) انظر: ابن منظور، (محمّد بن مكرم): **لسان العرب**، طبعة بولاق – القاهرة، (سند)، (206/4)، وانظر – أيضاً –: ابن دريد، (محمّد بن الحسن)، **جمهرة اللّغة**، دار المعارف العثمانيّة – حيدرآباد 1345هـ، (104/2 و 266)، وابن جنّي، (أبو الفتح عثمان)، **سرّ صناعة الإعراب**، الطّبعة الأولى 1954 القاهرة، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، (45/1).

(2) انظر: ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، (1024/2).

(3) منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن النّديم، والقلقشنديّ، وابن دريد، والبلاذريّ، والسّيوطيّ، وابن عبد ربّه، وابن قتيبة، وابن الضّائع، والخطيب النّجفيّ، وغيرهم. انظر: ابن النّديم، (محمّد بن إسحاق): **الفهرست**، مطبعة مكتبة خيّاط – بيروت، ، (ص/12)، والقلقشنديّ، (ناصر السيّد)، **صبح الأعشى**، (8/3)، وابن دريد، (أبوبكر)، **الاشتقاق**، الطّبعة الأولى، (ص/223)، والبلاذري، (أحمد بن يحيى)، **فتوح البلدان**، مطبعة السعادة بمصر 1959م، (ص/471)، والسّيوطيّ، (جلال الدّين)، **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، الطّبعة الثّانية 1989م، دار الكتب العربيّ، (347/2)، وابن عبد ربّه، (أحمد بن محمّد)، **العقد الفريد**، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة القاهرة، (3/3)، وابن قتيبة، **عيون الأخبار**، (43/1)، وابن الضّائع، **تحفة أوي الألباب**، (ص/31)، والخطيب النجفيّ، **تاريخ الأنبار**، (ص/26).

وفي هذه النّظريّة ما فيها من الشّكّ والرّيب؛ لأنّ انتقال ظاهرةٍ ثقافيّة كظاهرة الكتابة هذه أمرٌ يكون بطبعه بطيئاً يصعُب أن نميّز فيه أشخاص النّاقلين، أضف إلى ذلك أنّه يصعب أن يقوم ثلاثةٌ من طيّ بمهمّة أكاديميّة شاقّة كهذه لمجرّد الرّغبة في توفير خطّ يكتب به العرب(1).

النّظريّة الحديثة (أصل الخطّ العربيّ من الأنبار):

إنّ ممّا لا يختلف فيه اثنان: أنّ العرب لم يُصيبوا درايةً بالكتابة إلاّ حيث كان لهم بالمدنيّة اتّصال، ولم يتمدّنوا إلاّ نتيجةَ انتجاعهم تلك الأطراف الغنيّة المحيطة بشبه الجزيرة العربيّة في اليمن ووادي الفرات الأوسط وسوريا ونجوع النّبط وحوران(2)...في هذه التّخوم أخذت بعض القبائل العربيّة تتحوّل عن طبيعتها البدويّة، وتميل إلى التّرف والرّاحة والاستقرار، فأخلدت إلى حياةٍ جديدة، واتّخذت أساليب الحضر في كثيرٍ من طرائق المعيشة ومظاهر العمران. لم تلبث القبائل العربيّة المتاخمة لتلك الأطراف المتمدّنة والغنيّة طويلاً حتّى تكوّنت منها وحداتٌ عربيّةٌ سياسيّةٌ عُرِفت مملكتهم فيما بعد باسم مملكة (النّبط)، وقد بقيت عاصمتهم (البتراء) مزدهرةً ما يقرُب من خمسة قرون، ظلّت خلالها مركزاً تجاريّاً هامّاً على طريق القوافل من سبأ (اليمن) وبلاد البحر المتوسّط(3)، وقد استطاعوا أن يبتدعوا لأنفسهم خطّاً اشتقّوه من الخطّ الآراميّ، وهو الخطّ النّبطيّ الّذي نُسِب إليهم وعُرِفَ بالنّبطيّ(4).

---

(1) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/10).

(2) انظر: الجبوري، (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/18-19).

(3) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/11-12).

(4) انظر: المصدر السّابق نفسه.

وعلى الرّغم من أنّ مملكة النّبط قد انتهى أمرها في أوائل القرن الثّاني الميلاديّ، إلاّ أنّ طريقتهم في الكتابة ظلّت باقيةً يكتب بها الأعراب في شمال شبه الجزيرة زهاء ثلاثة قرون. وعرب هذه الأقاليم مرّوا في كتاباتهم بأدوارٍ ثلاثة، وهي[1]:

- المرحلة الآراميّة: كتبوا في هذه المرحلة بالحروف الآراميّة الّتي تميل إلى التّربيع، ومن سلالتها التدمريّة والعبريّة.
- مرحلة الانتقال: وقد تمّ في هذه المرحلة الانتقال من الخطّ الآراميّ إلى الخطّ النّبطيّ.
- مرحلة النّضوج: وفيها انتهى الخطّ النّبطيّ إلى صورته المعروفة الّتي تميل إلى الاستدارة رغم ما فيها من نزوعٍ إلى التّربيع.

هذا، ويترجّح أن تكون ظاهرة الكتابة وجدت سبيلها إلى بلاد العرب بسلوك أحد طريقين: الأوّل: الطّريق الدّائر من (حوران) إلى وادي الفرات الأوسط حيث الحيرة والأنبار، ثمّ دومة الجندل فالمدينة، ومنها إلى مكّة والطّائف. والثّاني: طريقٌ أقصر من ديار النّبط إلى (البتراء) إلى (العلا) ومدائن صالح فشمال الحجاز إلى المدينة ومكّة[2].

وأيّاً ما كان، فالثّابت أنّها تمّت بين منتصف القرن الثّالث الميلادي والقرن السّادس، وهو الوقت الّذي تمّ فيه تحوّل الخطّ العربيّ من صورته النّبطيّة البحتة إلى صورته العربيّة المعروفة[3]. والجدير بالذّكر: أنّ هذه الكتابة الّتي أصبحت كتابة العرب الحجازيّين كانت أوّل أمرها غير منقوطة ولا مشكولة، وإنّما لحقها النّقط والشّكل في مرحلةٍ متأخّرة نتعرّف على تفاصيلها في البحث التّالي إن شاء الله.

مراحل نموّ وتطوّر الخطّ العربيّ

(1) انظر: الجبوري، (سهيلة ياسين): **أصل الخطّ العربيّ وتطوّره حتّى نهاية العصر الأمويّ**، مطبعة الأديب - بغداد 1977م، (ص/136).

(2) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/13).

(3) انظر: السّابق نفسه.

قبل الحديث عن مراحل نموّ وتطوّر الخطّ العربيّ، تتحتّم علينا معرفةُ الخطوط العربيّة الأولى؛ وذلك حتّى نبني عليها دراستنا، ونتتبّعها خطوةً خطوة، حتّى نقف على المراحل الّتي مرّت بها، ونلاحظ ما قد طرأ عليها من تغييراتٍ وتطوّرات. وفي هذا المضمار، نجد المصادر العربيّة تذكر هذه الخطوط العربيّة الأولى بأسماءَ متعدّدة، منها: الخطّ الحيريّ، والخطّ الأنباريّ، والخطّ المكّيّ، والخطّ المدنيّ، والخطّ الحجازيّ، والخطّ الكوفيّ، والخطّ البصريّ... وهذه الخطوط بعضها عرفه العرب قبل الإسلام، في حين عرفوا بعضها الآخر بعد الإسلام.

ونلاحظ في تسميات هذه الخطوط نسبتها إلى أهمّ المدن الّتي وردت منها، ويمكن القول بأنّ بينها علاقةٌ وثيقة؛ فقد عرفنا كيف ومتى انحدر الخطّين الحيريّ والأنباريّ إلى الحجاز، وما لبث هذا الخطّ في الحجاز طويلاً حتّى سُمّي بأسماءَ أخرى وهي الخطّ المكّيّ والخطّ المدنيّ، نسبةً إلى المدينتين: مكّة والمدينة؛ وذلك بعد أن استقرّ هناك، وانتشر بين أهالي هاتين المدينتين. ولما انتقل مركز النّشاط السّياسيّ إلى العراق في خلافتي عمر وعليّ، انتقلت معه الخطوط المعروفة (المدنيّة والمكّيّة) إلى الكوفة والبصرة، وعُرِفت هناك أوّلَ الأمر باسم المدينتين: مكّة والمدينة، ثمّ لم تلبث أن عُرِفت جميعاً في العراق باسم (الخطّ الحجازيّ) [1].

وفي الكوفة عُنِي القوم بتجويد نوعٍ من الخطّ يغلب عليه الجفاف، هُندِست أشكالُه، وتميّزت عن الخطوط الحجازيّة، فاستحقّ أن ينفرد باسمٍ جديدٍ هو (الخطّ الكوفيّ) [2]. وقد حدث في البصرة مثلُ ما حدث في الكوفة، فظهر في البصرة خطّ آخر إلى الوجود، له مميّزاتُه وخصائصه، سُمّي فيما بعد بـ(الخطّ البصريّ).. وهكذا تعدّدت أسماء الخطوط العربيّة الأولى، وإن كانت - من حيث الجملة - تنتمي إلى نوعٍ واحدٍ من الخطّ لا يفصل بينها إلاّ ما تمتاز به كلّ مدينة في طريقة تزيين هذه الخطوط وزخرفتها.

---

(1) انظر: الجبوري، (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/49).

(2) انظر: السّابق نفسه.

وإنّه لمن المؤسف أنّنا لا نعلم كثيراً من خصائص هذه الخطوط المبكّرة، غير النّزر اليسير الّذي أشار إليه صاحب (الفهرست) [1]، حيث وصف الخطّين: المكّي والمدنيّ بطريقةٍ تُشعرُنا بأنّهما خطّ واحد...وغاية ما يمكن قوله في هذا الصّدد: أنّ الفوارق الّتي كانت بين هذه الخطوط جميعاً فوارق تجويد لا فوارق خصائص؛ لأنّ العرب - إذ ذاك - كانوا على حالةٍ من البداوة شديدة، لم يكن لديهم من أسباب الاستقرار ما يدعوا إلى الابتكار في الخطّ الّذي انتهى إليهم.

والجدير بالذّكر: أنّ الخطّ العربيّ - بشكلٍ عام - لم ينل قسطاً من التّجويد والابتكار إلاّ في العراق والشّام، حيث فرغ العرب إلى تجويده والإبداع فيه، وذلك بعد أن فتح الله عليهم كثيراً من الأنحاء، وغدت لهم عمارةٌ وفنون، فاحتاجوا إلى تدوين...وهكذا خضعت الخطوط العربيّة الأولى لمرحلةٍ من التّحسين والتّزيين والزّخرفة.

العلامات في الخطّ العربيّ

إنّ النّاظر في الخطّ العربيّ - بصورته الحاليّة - يجد أنّه يمتاز بكثرة علاماتٍ بعضها فوقيّةٌ (فوق الحرف)، وبعضها الآخر تحتيّةٌ (تحت الحرف). والملاحظ: أنّ الكتابة العربيّة مرّ عليها زمانٌ غير يسير كانت فيه خاليةً من جميع العلامات الّتي نجدها فيها اليوم، فكيف ومتى – يا ترى – ظهرت هذه العلامات؟!، ومن أنشأها وأدرجها في الخطّ العربيّ؟!

يمكن القول بأنّ كلّ هذه العلامات الّتي لحِقت الخطّ العربيّ أثرٌ من آثار الإسلام في الكتابة العربيّة؛ ذلك لأنّ الرّاجح من الآراء: أنّ الكتابة العربيّة لم تكن في الجاهليّة منقوطةً ولا مشكولة؛ لعدم حاجة العرب – إذ ذاك – إلى ذلك، فاللّغة لغتُهم، وهم ساداتُها المالكون لزمامها، يتكلّمونها ويقرؤونها صحيحةً بالسّليقة والطّبع[2].

وبعد بزوغ فجر الإسلام، ودخول النّاس في دين الله أفواجاً، اختلط العرب بغيرهم من العجم، وأصبحت اللّغة العربيّة هي اللّغة الرّسميّة للإسلام، كيف لا؟ والقرآن عربيّ، لا يُعفى مسلمٌ من تعلّمِ قراءته والتّعبّد به في الصّلاة وغيرها.

---

(1) انظر: ابن النديم، **الفهرست**، (ص/42).

(2) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/38).

فنتيجةً لهذا الاختلاط دبّ الفساد في الكلام العربيّ، بل تجاوزه ليصل إلى القرآن الكريم – والأمثلة على ذلك كثيرة – أضف إلى ذلك كلّه: ما كان يواجهه غير العرب من صعوباتٍ في تعلّم القراءة – وبخاصّة قراءة القرآن – وذلك لوجود حروفٍ متشابهة ولا شيء يميّز بينها من جهةٍ، ولعدم وجود حركات على الحروف، فيُعرَفُ ما إذا كانت مفتوحةً أو مضمومةً أو مكسورة من جهةٍ ثانية. هذه الظّروف وتلك هي المسؤول الأوّل الّذي أدّى إلى إدخال علامات جديدة على الخطّ العربيّ؛ وذلك تسهيلاً على المتعلّمين(1).

هذا، ولقد سارع علماء القرآن واللّغة العربيّة إلى سدّ تلك الثّغرة وهذا النقص من خلال محاولاتٍ متعدّدة، انتهت باستخدام نقاط الإعجام؛ لتمييز الحروف المتشابهة في الصّورة بعضها من بعض، ونقاط الإعراب لضبط الحروف تسهيلاً لقراءتها، وحركات الإعراب من فتحٍ، وكسرٍ، وضمٍّ وغيرها(2)، ثمّ علامات الترقيم لتسهيل عمليّة القراءة، وتفصيل ذلك في الآتي:

نقاط الإعراب

تكاد تُجمِع المصادر العربيّة على أنّ أوّل من وضع نقاط الإعراب هو أبو الأسود الدؤليّ(3)؛ إذ استحضر كاتباً فأمره أن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغاً يخالف لون المداد الّذي كُتِب به المصحف، وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتيّ على آخر الحرف، فنقّط نقطةً واحدةً فوق الحرف، فيكون هذا هو الفتح، وإذا رأيتني قد خفضت شفتيّ عند آخر

---

(1) انظر: الحمد، (غانم قدورى): **علم الكتابة العربيّة**، (ص/55).

(2) انظر: المصدر السّابق نفسه.

(3) انظر: ابن الأنباريّ (محمّد بن القاسم): **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ**، تحقيق محي الدّين عبد الرّحمن رمضان، دمشق 1971م، (1/39–41)، والحلبيّ، (عبد الواحد بن عليّ): **مراتب النّحويّين**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1955م، (ص/10)، والسّيرافيّ، (الحسن بن عبد الله): **أخبار النّحويّين البصريّن**، تحقيق كرنكو، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 1936م، (ص/16)، وابن النّديم، **الفهرست**، (ص/45)، والدّانيّ، (أبو عمرو عثمان بن سعيد): **المحكم في نقط المصاحف**، تحقيق عزّة حسن، دمشق 1960م، (ص/6–7)، والجبوري (محمود شكر): **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، (ص/39).

الحرف، فنقّط نقطةً واحدةً تحت الحرف، فيكون هذا هو الكسر، وإذا رأيتني ضممت شفتيّ فاجعل النّقطة بين يدي الحرف (أي أمامه)، فيكون هذا هو الضّمّ، فإن تبع الحرف الأخير غنّة، فنقّط نقطتين إحداهما فوق الأخرى، وهذا هو التّنوين. وأخذ أبو الأسود يقرأ المصحف بالتّأني، والكاتب يضع النُّقَطَ الّتي هي بمثابة الحركات حتّى شكّل المصحف كلّة، وكان هذا أوّلَ إصلاحٍ أُجرِي في الكتابة العربيّة بقصد ضبطها[1].

نقاط الإعجام

ذهب الباحثون في أصل الإعجام المميّز بين الحروف المتشابهة مذاهبَ شتّى، فمن ذاهبٍ إلى أنّها موضوعةٌ مع وضعِ الحروف[2]، ومن ذاهبٍ إلى أنّ من قام بذلك هو عامر بن جدارة قبل الإسلام[3]، ورأيٌ ثالثٌ يرى أنّها تمّت في فترةٍ متأخّرةٍ في خلافة عبد الملك بن مروان[4].

ولم يقم أيّ دليلٍ بيّن على أنّ نقاط الإعجام موضوعةٌ مع وضع الحروف، ولا أنّ عامر بن جدرة هو من تولّى ذلك، لا دليل يُسنِد ذلك على الإطلاق! والّذي تطمئنّ إليه النّفس: أنّ ذلك تمّ بعد الإسلام في خلافة عبد الملك بن مروان، وذلك حين قام يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم بأمرٍ من الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ – وهو إذ ذاك أمير العراقيين –

---

(1) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/40).

(2) انظر: الزّجّاجيّ، (عبد الرّحمن بن إسحاق): **كتاب الجمل في النّحو**، الطّبعة الرّابعة، تحقيق عليّ توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة 1408هـ/ 1988م، (ص/272)، وحاجي خليفة، (مصطفى بن عبد الله): **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول 1941، (712/1).

(3) انظر: ابن النديم، **الفهرست**، (ص/7).

(4) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/40).

فسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة في الرّسم علامات يميّز بعضها عن بعض، فنُقِّطت الحروفُ بمداد الكتابة نفسه؛ لأنّ نقط الحروف هو في الحقيقة جزءٌ منه(1).

حركات الإعراب

لم تستمرّ طريقة أبي الأسود الدّؤليّ في تمثيل الحركات بالنّقط طويلاً؛ وذلك لصعوبتها عند الكتابة من جهة، ولاحتمال التباسها بنقاط الإعجام من جهةٍ أخرى، فأصبحت الحاجة ماسّة إلى المخالفة بين نقاط الإعجام الّتي وضعها يحيى وعاصم، وبين نقاط الإعراب الّتي هي من وضع أبي الأسود الدّؤليّ، فانبرى لذلك العبقريّ الفذّ، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، واضطلع بمهمّة إبدال النّقاط الّتي وضعها أبو الأسود الدّؤليّ للدّلالة على الحركات الإعرابيّة(2)، وجعل علامات الإعراب بالحروف بدلاً من النّقاط، فالضّمّة واوٌ صغيرة على الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألفٌ مبطوحة فوق الحرف(3).

وقد أضاف الخليل بن أحمد إلى هذه العلامات الّتي هي الضّمّة والكسرة والفتحة خمسُ علاماتٍ أخرى، هي: السّكون، والشّدّة، والمدّة، وعلامة الصّلة ، وعلامة الهمزة، وجعل علامةَ السّكون دائرةً صغيرةً دلالةً على خلوّ الحرف من الحركة، وكان حذّاق الكتّاب يجعلونها جيماً صغيرةً تُكتَب فوق الحرف بغير عرافة؛ لأنّ الجيم هي أوّل حروف الـ(جيم)، وأمّا الشّدّة فجعلها شيناً صغيرة تُرسَم فوق الحرف بغير نقطٍ ولا عرافة، والشّين مأخوذٌ من أوّل حروف (شدّة)، وجعل علامة الصّلة صاداً لطيفة إشارةَ إلى الوصل، واختار للهمزة (العين) بلا عرافة؛ لقرب مخرجهما(4)...وبهذه الطّريقة أمكن أن

---

(1) انظر: المصدر السّابق نفسه.

(2) انظر: جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، (ص/40).

(3) انظر: الدّاني (أبو عمرو): **المحكم**، (ص/6-7)، والجبوري (يحيى وهيب): **الخطّ والكتابة في الحضارة العربيّة**، الطّبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1994م، (ص/108).

(4) انظر: القلقشنديّ، (أحمد بن عليّ): **صبح الأعشى**، (3/164-170).

يجمع الكاتب بين الكتابة والإعجام والشّكل بلونٍ واحدٍ، واستعمل الخليل هذه الطّريقة في كتب اللّغة والأدب دون القرآن؛ حرصاً على كرامة أبي الأسود وأتباعه، واتّقاءً لتهمة البدعة في الدّين(1).

علامات التّرقيم

وهي "علاماتٌ اصطلاحيّة تُوضَع أثناءَ الكلام أو في آخره، كالفاصلة والنّقطة وعلامتي الاستفهام والتّعجّب"(2). ويُشير عددٌ من الباحثين(3) إلى أنّ هذه العلامات انحدرت إلى الكتابة العربيّة من الكتابات الأوروبيّة؛ وذلك مع بدء انتشار المطبوعات العربيّة في العصر الحديث. ويمكن القول بأنّ هذه العلامات من أخريات ما تمّ إدراجه في الخطّ العربيّ لتحسينه وتسهيل قراءته(4).

ويبدو أنّ أوّل من وضع علامات التّرقيم، ودعا إلى استخدامه هو: أحمد زكي، المتوفّى 1934م، وقد صنّفها وفقَ النّسّق المستعمَل في كتابة اللّغات الأوروبيّة، وكان ذلك في رسالة أصدرها عام 1912م(5).

ما اتّهم به الخطّ العربيّ ودعاوى استبداله بغيره

تنطلق دعواتٌ في فترَاتٍ متلاحقة، تشكّك في قدرة اللّغة العربيّة بشكلٍ عام، وفي الخطّ الّذي تُكتَب به بشكلٍ خاص. وفي خضمّ تلكم الفوضى تبرّعت فئاتٌ ليست بالقليلة من أعداء هذه الأمّة بتقديم النّصائح والمقترحات، فاقترحوا

(1) انظر: الجبوري (يحيى وهيب): **الخطّ والكتابة في الحضارة العربيّة**، (ص/108).

(2) انظر: **المعجم الوجيز من إصدارات مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة**، 1980.

(3) منهم: عبد السّلام هارون: **تحقيق النّصوص ونشره**، الطّبعة الرّابعة، مكتبة الخانجي القاهرة 1379هـ / 1977م، (ص/85)، ورمضان عبد التّوّاب: **مناهج تحقيق التّراث بين القدامى والمحدثين**، الطّبعة الثّانية، مكتبة الخانجي القاهرة 1406هـ / 1973م، (ص/43 و 204).

(4) لمزيدٍ من التّفصيل عن علامات التّرقيم ومواضع استخدامها تُرَاجَع في مظانّها في كتب الإملاء.

(5) انظر: بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، (ص/202).

الكتابة باللّهجات المحلّيّة العامّيّة، وبالحروف اللاّتينيّة، زاعمين أنّ المشكلة هي اللّغة نفسها، والخطّ الّذي تُكتَب به...وقد كانت البداية في أواخر 1881م؛ حيث ورد اقتراح ((المقتطف))[1] بكتابة العلوم باللّغات العامّيّة.

وفي عام 1902م ألّف قاضي محكمة الاستئناف الأهليّة Wallmore الإنجليزيّ كتاباً أسماه: ((لغة القاهرة))، ووضع فيه قواعد لتلك اللّغة الّتي اقترحها لغة العلم والأدب، واقترح كتابتها بالحروف اللاّتينيّة[2]، ممّا جعل الشّاعر حافظ إبراهيم يثور في عام 1903م، ويقول قصيدته المشهورة مناصراً اللّغة العربيّة، ومتحدّثاً باسمها، ومن ذلك قوله:

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي

رموني بعقمٍ في الشّباب وليتني عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي

وَلِدتُ ولما لم أجد لعرائسي رجالاً وأكفاءً وأدتُ بناتي

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدّرّ كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي[3]

وفي عام 1903م، نادى الإسكندر المعلوف في مقالٍ نشرته ((الهلال)) إلى اللّهجة العامّيّة، وبمثل ذلك دعا (وليام ولكوكس) في العام التّالي (1904م)، وهو مهندس الرّيّ الإنجليزيّ، فقام بترجمة أجزاء من الإنجيل، وسمّى عمله: ((اللّغة المصريّة))، وقد أيّده في ذلك سلامى موسى وغيره[4]. ودعا أحمد لطفي السّيّد إلى تمصير اللّغة العربيّة، ومن

---

(1) المقتطف: صحيفةٌ مصريّةٌ قديمة، وهي موالية للإنجليز. انظر: حسين، (محمّد محمّد): **الاتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر**، الطّبعة الثّانية – مصر 1968م، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، (321/2).

(2) انظر: الفريح (سهام): **بحوثٌ في اللّغة والأدب**، الطّبعة الأولى 1408هـ – 1987م، مكتبة العلا الكويت (ص/202).

(3) انظر: **ديوان حافظ إبراهيم**، تصحيح أحمد أمين وآخرين، الطّبعة الرّابعة 1948م، المطبعة الأميريّة – القاهرة. (242/1).

(4) انظر: الفريح (سهام): **بحوثٌ في اللّغة والأدب**، (ص/229).

العجيب أنّه أصبح رئيساً لمجمع اللّغة العربيّ في القاهرة[1]. وفي السّياق نفسه نجد أنّ بريطانيا فرضت على هذا المجمع عضويّة المستشرق البريطانيّ (أ. هـ. جيب)، وعداؤه للّغة العربيّة أشهر من أن يشار إليه[2].

ولم تقتصر الدّعوة للعامّيّة والحروف الّلاتينيّة على مصر وحسب، بل امتدّت إلى أقطارٍ أخرى عربيّة، فقد دعا إليها في المغرب المستشرق (ماسينيون)، وفي لبنان (الخوري مارون) و (سعيد عقل) وغيرهما[3]...وقد تصدّى لهؤلاء وأولئك طائفةٌ من الغيورين على اللّغة العربيّة. وكلّ هذه الدّعوات تتذرّع بحجّة التّسهيل على النّاس؛ فالعامّيّة — على زعمهم – أقرب إلى أفهام النّاس، والكتابة بالحروف الّلاتينيّة أسهل من الكتابة بالعربيّة.

والنّاظر في الخطّين: العربيّ، والّلاتينيّ يدرك – بما لا يضع مجالاً للشّكّ – بأنّ هذه الدّعوات باطلةٌ يكذّبها الواقع الّذي نعيشه اليوم. وزعمهم أنّ بعض الكلمات العربيّة صعبةٌ في الإملاء غير مسلّم؛ ذلك لأنّنا لو تقصّيناها لوجدناها محدودةً قد تقلّ كثيراً عن مثيلاتها في اللّغات الأخرى، وأخصّ اللّغة الإنجليزيّة بالذّكر فأقول: أليس فيها صعوباتٌ إملائيّة هي الأخرى؟! وفيما يلي بعض الأمثلة تؤكّد ما يذهب إليه الباحث[4]:

في مجال الكلمات المفردة:

ففي هذا المجال نجد بعض الكلمات الإنجليزيّة متماثلةً في النّطق، ومختلفةً في المعنى، من ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – ما يلي:

- كلمة **(**Eight**)** ومعناها: ثمانية، تُنطَق مثل كلمة **(**Ate**)** ومعناها: أَكَلَ.

---

(1) انظر: حسين، (محمّد محمّد): **الاتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر**، (352/2).

(2) انظر: الفريح (سهام): **بحوثٌ في اللّغة والأدب**، (ص/230).

(3) انظر: السّابق نفسه.

(4) لمزيدٍ من التّفاصيل انظر: الفريح (سهام): بحوثٌ في اللّغة والأدب، (ص/223 –237).

- كلمة **(**Write**)** ومعناها: يكتب، تُنطَق مثلَ كلمة **(**Right**)** ومعناها: صحيح.
- كلمة **(**Four**)** ومعناها: أربعة، تُنطَق مثل **(**For**)** ومعناها: لام الجرّ (لِ).
- كلمة **(**Sun**)** ومعناها: شمس، تُنطَق مثل كلمة **(**Son**)** ومعناها: ابن. وغير ذلك كثير.

في مجال الحروف المجردة:

وإذا ما نظرنا إلى الحروف لوجدنا ملاحظاتٍ عدّة، نذكر منها ما يلي:

- حرف الفاء له أشكالٌ كثيرة في اللّغة الإنجليزيّة، من ذلك: **(**F**)** مثل **(**Field**)** بمعنى حقل، وتُلفَظ: (فِيلد)، و**(**Ph**)** مثل **(**Photograph**)** بمعنى الصّورة، وتلفظ: (فوتغراف)، و**(**Gh**)** مثل **(**Enough**)** بمعنى يكفي، وتلفظ: (إِنَف).
- حرف **(**C**)** يُلفَظ مرّةً سيناً ومرّةً كافاً، مثل: **(**Can**)** بمعنى يقدر، وتلفظ: (كَان)، وفي كلمة **(**Cancel**)** وتعني: يُلغِي، وتلفظ: (كانسل)، فـ**(**C**)** الأولى تلفظ كافاً بينما تُنطَق الثّانية سيناً كما ترى.
- ليس في الإنجليزيّة حرف الشّين، فيضطرّون للجمع بين حرفين أو أكثر، من ذلك الجمع بين **(**s**)** و **(**H**)** مثل: **(**Short**)** بمعنى قصير، وقد يجمعون بين عدّة أحرف مثل **(**Translation**)** بمعنى: ترجمة؛ حيث جمعوا بين **(**T**)** و **(**I**)** و **(**O**)** و **(**N**)** للحصول على حرف الشّين.
- وليس لهم حرف الذّال والثّاء، فيجمعون بين حرفين هما: **(**T**)** و **(**H**)** ويُنطَقان مرّةً ذالاً وأخرى ثاءً، وذلك مثل: **(**Mouth**)** بمعنى: فمّ، وتنطق: (ماوث)، ومثل: **(**The**)** بمعنى: (أل) التعريف، وتنطق: (ذَ).

- وحرف **(G)** له صورتان فمرّةً ينطق جيماً، ومرّةً ما بين الكاف والجيم (أي ما يشبه الجيم في اللّهجة المصريّة)، ومثال ذلك كلمة: **(Garage)** بمعنى: مرآب (مكان تصليح السّيّارات)، فـ**(G)** الأولى تنطق مثل الجيم المصريّة، بينما تنطق الثّانية جيماً عربيّة.
- هناك حروف صامتة، تُكتَب ولا تُلفَظ، وهي تأتي في كلمات كثيرة، من ذلك: **Knife, Eight, Through, Fight, Light, Although** والحروف الّتي لا تُلفَظ ميّزتها باللّون الأحمر ووضعت تحتها خطين.
- هناك حروف في العربيّة ليس لها نظير في الإنجليزيّة، وذلك مثل: (ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ح، خ) فما العمل بها؟ ثمّ ماذا نفعل بكتب التراث لو كتبنا الحروف باللّاتينيّة؟

ونتأكّد من خلال الملحوظات السّابقة الذّكر ما وراء تلكم الدّعوات الباطلة إلى استبدال الخطّ العربيّ باللّاتينيّ، وأنّ الهدف منها ليس إلاّ محاولةً للقضاء على اللّغة العربيّة والنّيل منها، وقد خابوا في ذلك وخسروا؛ إذ الله – سبحانه – تولّى أمر حفظ هذه اللّغة بنفسه؛ لكونها وعاءً للقرآن الكريم (إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)، وما ذكرتُ من أمثلة، قلامةٌ من ظفر، وغيضٌ من فيض، وحسبك من القلادة ما أحاط به العنق!

خاتمة

وبعد هذا التطواف والتجوال ونحن ننتقل من غصنٍ إلى غصن في حديقة مراجع الموضوع المتعدّدة، فقد آن الآوان أن نسجّل أهمّ ما يؤكّده هذا البحث من نتائج، وذلك من خلال الفقرات التالية:

- إنّ نشأة الكتابة عند الإنسان مرّت بمراحل عدّة، متأثّرةً بما مرّ به الإنسان الأوّل من مراحل التمدّن والاستقرار؛ فقد قضى الإنسان الأوّل قروناً دون القراءة والكتابة، وذلك لما كان عليه من بساطة العيش، وعندما خطا خطوةً نحو التمدّن والاستقرار احتاج إلى الكتابة، فعبّر عن أفكاره بالصوَر، ثمّ ارتقى أسلوبُ حياتِه فلجأ إلى

الطريقة الرّمزيّة مستخدماً الصّوَر والأشكال، ثمّ انتقل إلى الكتابة المقطعيّة، وبعدها إلى الكتابة الأبجديّة الهجائيّة المستخدمة في الوقت الرّاهن.

- عرف الخطّ طريقه إلى الثقافة العربيّة قبل الإسلام، وذلك عن طريق الخطّ النّبطيّ المشتقّ من الخطّ الآراميّ. ويترجّح أن تكون ظاهرة الكتابة وجدت سبيلها إلى بلاد العرب بسلوك أحد طريقين: الطّريق الدّائر من (حوران) إلى وادي الفرات الأوسط حيث الحيرة والأنبار، ثمّ دومة الجندل فالمدينة، ومنها إلى مكّة والطّائف. والثّاني: طريقٌ أقصر من ديار النّبط إلى (البتراء) إلى (العلا) ومدائن صالح فشمال الحجاز إلى المدينة ومكّة.
- مرّ على الكتابة العربيّة زمانٌ غير يسير كانت فيه خاليةً من جميع العلامات، وبعد بزوغ فجر الإسلام، واختلاط العرب بالعجم احتاج الخطّ العربيّ إلى أوّل إصلاحٍ، وهو نقاط الإعجام؛ وذلك لتمييز الحروف المتشابهة بعضها من بعض، ثمّ استدعت الحاجة إلى إصلاحٍ آخر وهو نقاط الإعراب؛ لتمييز مواقع الكلمات الإعرابيّة. ثمّ دعت ضرورة أخرى للتمييز بين نقاط الإعجام ونقاط الإعراب، فتولّد عن ذلك إصلاح آخر ألا وهو استبدال نقاط الإعراب بالحركات الإعرابيّة المعروفة اليوم. وفي فترة متأخّرة تمّ إدراج علامات الترقيم، وهي آخر ما تمّ إدراجه من إصلاحاتٍ في الخطّ العربيّ.
- لقد تبرعت فئات غير يسيرة من أعداء هذه الأمّة إلى اتّهام اللّغة العربيّة بشكلٍ عام، والخطّ الّذي تُكتَب به بشكلٍ خاص، وانتهى بهم الأمر إلى اقتراح الحروف اللاتينيّة بديلاً عن العربيّة. وقد أثبت البحث – بما لا يضع مجالاً للشّكّ – كذب هذه الدعوى، وأورد أمثلةً متعدّدة لما يعانيه الخطّ الإنجليزيّ من مشاكل، وهي أضعافُ أضعافِ ما قد يُوجد في الخطّ العربيّ.

المصادر والمراجع

أوّلاً: المصادر والمراجع العربيّة

أسعد، (علي) وفكتور، (الفكّ)، **فنون صناعة الكتابة**، الطّبعة الثّالثة 1977م.

ابن الأنباريّ (محمّد بن القاسم): **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ**، تحقيق محي الدّين عبد الرّحمن رمضان، دمشق 1971م.

البلاذري، (أحمد بن يحيى)، **فتوح البلدان**، مطبعة السعادة بمصر 1959م.

بيطار، (إلياس): **الأبجديّة الفينيقيّة والخطّ العربيّ**، الطّبعة الأولى 1997م، دار المجد للطّباعة والنّشر، دمشق.

الجبوري، (سهيلة ياسين): **أصل الخطّ العربيّ وتطوّره حتّى نهاية العصر الأمويّ**، مطبعة الأديب – غداد 1977م.

الجبوريّ، (محمود شكر)، **الخطّ العربيّ والزّخرفة الإسلاميّة**، دار الأمل للنّشر والتّوزيع – الأردن.

الجبوري (يحيى وهيب): **الخطّ والكتابة في الحضارة العربيّة**، الطّبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1994م.

جمعة، (إبراهيم): **قصّة الكتابة العربيّة**، الطّبعة الثّالثة 1981م، دار المرّيخ.

ابن جنّي، (أبو الفتح عثمان)، **سرّ صناعة الإعراب**، الطّبعة الأولى 1954 القاهرة، تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

حاجي خليفة، (مصطفى بن عبد الله)، **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول 1941.

حسين، (محمّد محمّد): **الاتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر**، الطّبعة الثّانية – مصر 1968م، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز.

الحلبيّ، (عبد الواحد بن عليّ): **مراتب النّحويّين**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1955م.

الحمد، (غانم قدوري): **علم الكتابة العربيّة**، الطّبعة الأولى 1425هـ / 2004م، دار عمّار للنّشر والتّوزيع.

الخطيب النجفيّ، **تاريخ الأنبار**.

ابن خلدون، (عبد الرّحمن): **المقدّمة** (تاريخ ابن خلدون)، الطّبعة الرّابعة، دار إحياء التّراث العربيّ – بيروت.

الدّانيّ، (أبو عمرو عثمان بن سعيد): **المحكم في نقط المصاحف**، تحقيق عزّة حسن، دمشق 1960م.

ابن دريد، (أبوبكر)، **الاشتقاق**، الطّبعة الأولى.

ابن دريد، (محمّد بن الحسن)، **جمهرة اللّغة**، دار المعارف العثمانيّة – حيدرآباد 1345هـ.

ديوان حافظ إبراهيم، تصحيح أحمد أمين وآخرين، الطّبعة الرّابعة 1948م، المطبعة الأميريّة – القاهرة.

الرّافعي، (مصطفى) و جيدة، (عبد الحميد): **فنون صناعة الكتابة**، دار الجيل – بيروت.

رمضان عبد التّوّاب، **مناهج تحقيق التّراث بين القدامى والمحدثين**، الطّبعة الثّانية، مكتبة الخانجي القاهرة 1406هـ / 1973م.

الزّجّاجيّ، (عبد الرّحمن بن إسحاق): **كتاب الجمل في النّحو**، الطّبعة الرّابعة، تحقيق عليّ توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة 1408هـ/ 1988م.

زيدان، (جرجي): **الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة**، الطّبعة الثّانية 1904، دار الهلال – القاهرة.

السّيرافيّ، (الحسن بن عبد الله): **أخبار النّحويّين البصريّن**، تحقيق كرنكو، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 1936م.

السّيوطيّ، (جلال الدّين)، **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، الطّبعة الثّانية 1989م، دار الكتب العربيّ.

ابن الضّائع، (عبد الرّحمن بت يوسف): **تحفة أوي الألباب في صناعة الخطّ والكتاب**، تحقيق هلال ناجي، الطّبعة الأولى 1967 تونس.

ابن عبد ربّه، (أحمد بن محمّد)، **العقد الفريد**، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة القاهرة.

عبد السّلام هارون: **تحقيق النّصوص ونشره**، الطّبعة الرّابعة، مكتبة الخانجي القاهرة 1379هـ/1977م.

الفريح (سهام): **بحوثٌ في اللّغة والأدب**، الطّبعة الأولى 1408هـ – 1987م، مكتبة العلا الكويت.

ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، دار الكتب المصريّة، القاهرة 1925م.

القلقشنديّ، (ناصر السيّد)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت 1407هـ / 1987م..

المعجم الوجيز من إصدارات مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، 1980.

ابن منظور، (محمّد بن مكرم): **لسان العرب**، طبعة بولاق – القاهرة، (سند).

ابن النّديم، (محمّد بن إسحاق): **الفهرست**، مطبعة مكتبة خيّاط – بيروت.

هبو، (أحمد): **الأبجديّة: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشّعوب**، اللاذقيّة 1984م.

ثانياً: المراجع الإفرنجيّة

A Gaur, **A History of Writing**, (London 1984).
C. B. F. Walker, Cuneiform, (London, 1987).
D. Diringer, **The Alphabet: a Key to a History of Mankind**, (London, 3rd Edition, 1968).
D. Diringer, **Writing**, (London 1962).
G. R. Driver, **Semitic Writing from Pictography to Alphabet**, (London 3rd Edition, 1976).
J. Gelb, **A Study of Writing** (Chicago/London, 2nd Edition 1963).



